تفريغ محاضرة رقم (٥٠)

- شرح كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد -

للشيخ / خالد منصور

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وأشهد إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا المصطفى محمداً عبد الله ورسوله صلوات الله وتسليماته عليه وعلى إله وأصحابه وأزواجه أمهات المؤمنين وسلم تسليماً كثيراً،

أما بعد،،

نواصل وبحول الله وقوتهم مدارسة فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد بحول الله عز وجل وقوته، بلغنا باب قول الله عز وجل: (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين).

وفي الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه، قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ، وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال له: (يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أُحاج لك بها عند الله)، فقالا له: أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ فأعاد، فكان آخر ما قال: (هو على ملة عبدالمطلب). وأبا أن يقول لا إله إلا الله، فقال النبي ﷺ: (لأستغفرن لك ما لم أُنهى عنك)، فأنزل الله عز وجل: (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم)، وأنزل الله في أبي طالبٍ (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين).

ذكر الإمام رحمه الله تعالي فيه مسائل:

الأولى: تفسير (إنك لا تهدي من أحببت).

الثانية: تفسير (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين).

الثالثة: وهي المسألة الكبيرة، تفسير قوله: (قل لا إله إلا الله) بخلاف ما عليه من يدعي العلم.

الرابعة: أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ، إذا قال لرجل، أو إذ قال للرجل: قل لا إله إلا الله، فقبح الله من أبو جهلٍ أعلم منه بأصل الإسلام.

الخامسة: جِده ﷺ و مبالغته في إسلام عمه.

السادسة: الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه.

السابعة: كونه ﷺ إستغفر له فلم يغفر له، بل نُهي عن ذلك.

الثامنة: مضرة أصحاب السوء على الإنسان.

التاسعة: مضرة تعظيم الأسلافِ والأكابر.

العاشرة: الشبهة للمبطلين في ذلك لاستدلال أبي جهل بذلك.

الحادية عشر: الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم لأنه لو قالها لنفعته.

الثانية عشر: التأمل في كِبر هذه الشبهة في قلوب الضالين، لأن في القصة أنهم لن يجادلوه إلا بها مع مبالغته ﷺ وتكريره، فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم إقتصروا عليها.

نرجع لكلام العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله في فتح المجيد على هذا الباب، قال: قولو باب قول الله تعالى: (إنك لا تهدي من أحببت.. الآية)، قال: سبب نزول الآية، أو سبب نزول هذه الآية موت أبي طالب على ملة عبدالمطلب، كما سيأتي بيان ذلك في حديث الباب.

قال علامة ابن كثير رحمه الله تعالى يقول الله تعالي لرسوله: (إنك) يا محمد، (لا تهدي من أحببت) أي ليس لك أو ليس إليك ذلك؟ ليس إليك هداية من أحببت إنما عليك البلاغ، والله

يهدي من يشاء، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، كما قال تعالى: ليس لك او (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء)، وقال تعالى: (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وما أكثر الناس ولو حرصت على هدايتهم، ولو حرصت على إيمانهم بمؤمنين.

بيعلق الشيخ العلامه عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ قائلاً: قلت: والنفي هنا هداية التوفيق والقبول، نقول: والمنفي هنا هداية التوفيق والقبول، فإن أمر ذلك إلى الله تعالى وهو القادر عليه، وأما الهداية المذكورة في قول الله تعالى: (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم)، فإنها هداية الدلالة والبيان، فهو المبين عن الله ﷺ والدال على دينه شرعه.

يبقى هنا هننطلق من خلال هذا التقسيم أن الهداية المنقولة في القرآن وسنة النبي ﷺ، إنما هي هداية النظرية وهداية عملية، هداية النظرية هداية الإرشاد والدلالة، هداية العملية هداية التوفيق والإهتداء القلبي يعني الإستقامة على أمر الله عز وجل، يبقى ما نُفي في موضع غير ما أثبت في الموضوع، الإيه؟ المقابل له، فالذي لا يملكه إلا الله عز وجل، لا يملكه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وهو ما في قلوب العباد من عمل القلب بالإهتداء على دين رب الأرض والسماء ويستجيب، أما هداية الدلالة والإرشاد، فهذه يحسنها كل أحد إن شاء الله وجمهور خلق الله يحسنونها من النبيين والصالحين ومن بعدهم، يعني ممن يُعلم الناس الخير.

يبقى هنا من جهة إن النبي مُعَلم من جهة النبي مرشد مُبين مُوضح فهذا له ولكل من حمل أمانة دينه ﷺ أن يوصف بالهداية هداية التعليم، هداية البيان، هداية الإرشاد إللي قلنا عليها الهدايا النظرية، أما ما في القلوب فلا يملك أحدٌ مما في قلب إنسان شيئًا.

وقوله في الصحيح عن المسيب وساق القصة موت أبي طالب من لما حضرته الوفاة، وإجتهاد النبي ﷺ تسليماً في دعوته إلى التوحيد قوله في الصحيح يعني في الصحيحين وابن المسيب هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائد بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي، أحد العلماء والفقهاء الكبار السبعة من التابعين، إتفق أهل الحديث على أن مراسيله أصح المراسيل، المراسيل جمع مرسل، يعني اللي هو الحديث

الذي رواه التابعي دون ذكر الواسطة، تمام؟ فلأن سعيد بن مسيب من التابعين الكبار جداً، يعني أدرك عددًا هائلا من أصحاب رسول الله ﷺ، فالأصل أن شيوخه الذين يحدث عنهم من الصحابة رضي الله تعالي عنه، ويقل جداً أو يكاد ينعدم في حق ابن المسيب أنه يروي عن غير صحابي.

بيقول بعد كده: قال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع، علمًا منه رضي الله تعالي عنه، مات بعد ال٩٠، وقد ناهز ال ٨٠، مات بعد ال٩٠ هجريًا من موت النبي، وقد ناهز معني تجاوز ال٨٠ من عمره، وأبوه المسيب ابن حزم صحابي بقي إلى خلافة عثمان رضي الله تعالي عنه، وكذلك جده حزن صحابي إستشهد باليمامة، لما جاء جده للنبي ﷺ، فسأله النبي عن إسمه؟ قال: (ما إسمك؟)، قال: حزم، قال: (بل أنت سهل)، قال: لا أغيراسم سماني به أهلي، قال سعيد بن المسيب بن حزن: فما زالت تلك الحزونة فينا، الحزونة بمعنى إيه؟ مش الكئابة، الحزونة مش الشدة والغلظة، هذا أمر اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وإنت تجعل الحزن أي الصعب الشديد، مش الحُزن، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلًا، فكان المسيب بن حزن كان فيهم شده يعني من الحزن، والمسيب وسعيد رحم الله الجميع.

قوله: لما حضرت أبا طالبٍ الوفاةُ أي علاماتها ومقدماتها، أما إذا حضره الموت الذي هو الموت فكيف يُدعى؟ قد انقطع عمله، (إذا مات ابن أدم أنقطع عمله) فلا فائدة في التلقين، عشان كده النبي ﷺ لما قال: (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)، (لقنوا موتاكم لا إله إلا الله)، فبعض الناس متصور أن التلقين ينفع بعد خروج الروح، ما الذي تلاقنه به؟ خلاص حتى لو فرضنا إن قالها في عالم البرزخ لا تنفعه هو المطالب إن هو ينطق بها حال حياته، وحالة جريان القلم بالثواب والعقاب عليه، وفي حديث جمع اللفظين يعني (لقنوا موتاكم لا إله إلا الله، فإنه من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)، فالنبي ﷺ حرص صلوات الله عليه على دعوة عمه وإنقاذه من الجهالة والضلالة والكفر الأكبر بالنطق بكلمة التوحيد، حتى في آخر لحظة في حياته، اللي هو قارب الموت، يعني في مرضه الذي مات فيه، لما أنت تروح تزور إنسان ويقول لك: ده فلان متأخر شويه، يعني واضح أنه كأنه

يعني خلاص جاوز أجله، يعني هو خلصانة يعني مش مفيش تصور في حقه رجعه، عمك فلان أبوك فلان متأخر شوية، يعني خلاص إن هو.

فلما حضرت أبا طالب الوفاة يعني علامات الوفاة ومقدمات الوفاة، وطبعاً في علامات ظاهرة جداً جدًا يحسنها كل إنسان، يعني ممن عالج هذه الإيه؟ الأشياء، وربنا يعافينا والمسلمين، يعني أنت قد يعني تؤتى إن أنت تقرأ الموت في وجه الإنسان وهو شكله كويس يعني مش بيشتكي من حاجة، لكنك تقرأ الموت في وجهه، تلاقي يقول لك: أنا شوفت في وجه فلان الموت، طيب هو كان ماشي في الشارع مقابله يعني بيتكلم وسلموا على بعض وبتاع، تقول له قال: شوية مش عاجيبنا كده، شوفت في وجهه الموت، ما تعديش ٣ ٤ أيام أسبوع بالكثير، فبتبقى أمارات مش ظاهره يعني، أمارات لا يعني لا يحسنها كل واحد عافانا الله والمسلمين من موت الفجائة.

قوله: جاء رسول الله ﷺ، بيقول: يحتمل أن يكون المسيب حضر مع الإثنين فإنهما من بني مخزوم، وهو أيضا مخزومي، وكان الثلاثة إذاك كفارًا، فَقُتل أبو جهلٍ على كفره، وأسلم الآخران.

قوله: (يا عم)، هذا منادى مضاف، يجوز فيه إثبات الياء وحذفها، يا عمي ويا عم، يقول: وحذفت الياء هنا، وبقيت الكسرة دليلًا عليها، يبقى الكسرة دي مش إعرابية، الكسرة دي عِوض يعني عن إيه؟ عن حذف، يا عمي.

قوله: (قل: لا إله إلا الله)، قال: أمره أن يقولها لعلم أبي طالب بما دلت عليه من نفي الشرك بالله، وإخلاص العبادة له وحدة، فإن من قالها عن علم ويقين فقد برء من الشرك والمشركين، ودخل في الإسلام، طبعاً العلم الإجمالي إحنا بنأكد على مسألة إشتراط العلم في قبول الشهادة وإنتفاع قائلها بها إن هو العلم الإجمالي مش العلم التفصيلي، وإلا فالتفصيل لا يحيط به أحد علمًا إلا الأنبياء، يقول: فمن قالها عن علم ويقين، فقد بَرِء من الشرك والمشركين ودخل في الإسلام، لأنهم أي هؤلاء العرب الأوائل، لأنهم يعلمون ما دلت عليه الكلمة يعني من النفي والإثبات، وفي ذلك الوقت لم يكن بمكة إلا مسلمٌ أو كافر، فلا يقولها

إلا من ترك الشرك وبرء منه، ولما هاجر النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، كان فيها المسلمون الموحدون والمنافقون الذين يقولون بألسنتهم، يقولونها أي الكلمة بألسنتهم وهم يعرفون معناها لكن لا يعتقدونها، لِما في قلوبهم من العداوة والشك والريب، فهم مع المسلمين بظاهر الأعمال دون الباطن.

وفيها أي في المدينة اليهود، وقد أقرهم الرسول ﷺ لما هاجر ووادعهم من الموادعة، ترك القتال يعني، ووادعهم بأن لا يخونوه ولا يظاهروا عليه عدوا كما هو مذكور في كتب الحديث والسيرِ.

قوله: (كلمة)، قال القرطبي: بالنصب على أنه بدل من لا إله إلا الله، ما هو بيقول له: قل لا إله إلا الله، شيل الجملة دي، وخليك تقول: قل: كلمة، حتبقى كلمة أيه؟ منصوبة، تمام؟ يبقى جملة لا إله إلا الله في محل نصب، بس جملة قلها كلمة يعني أيه؟ يعني في مش هو ده المقصود، شيل الجملة دي وحط مكانها كلمة "كلمة" قل كلمةً، فهنا بيقول: بالنصب على أنه بدلًا من لا إله إلا الله، ويجوز الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف.

بيقول: قوله: (أحاجك لك بها عند الله)، هو بتشديد الجيم من المحاجة، هي أصلًا المحاجة محاججة دا في الفك يعني، لما تيجي تفك الجيم المشددة تبقى جيمين محاججة، لما تيجي تدغم بعد الفك بقى تحط جيمين على بعض، تبقي جيم واحدة مشددة، يبقى محاجة، تمام؟ يبقى هي أصلًا محاجة مفاعلة يعني، لإنها أصلها محاججة.

قال: والمراد بها بيان الحجة بها، يعني أنا أبين حجتك أنك تستأهل الجنة، إذا أنت قلتها وأنا شاهد على ذلك، والمراد بها بيان الحجة بها لو قالها في تلك الحال، وفيه دليل على أن الأعمال بالخواتيم، لأن ده المشهد الأخير من حياة أبي طالب، تمام؟ ممكن يقولها ويموت على طول وتبقى آخر كلام، واضح؟ وشوف أبو طالب قعد قد أيه في الكفر وقعد قد أيه في حرب الإسلام والمسلمين والحقد عليهم والغيض منهم؟ وإن كان بيحب النبي محبة شخصيه مش محبة شرعية، المحبة الشرعية ملزمة أو دافعة دفعًا لا يعني لا مراء فيه للنطق بالإيه؟ لو كان يحب حقا، يعني لو صحت المحبة في قلبه ولو بأصلها المحبة الشرعية لدفعته قطعًا

إلى قول: لا إله إلا الله، فلما إمتنع من القول علمنا أن باطنه خَرِبٌ من هذه المحبة مش ممكن يكون بيحب النبي محبة شرعية، إنما المحبة الطبعية إبن أخويا ومربيه وعلى عيني وبحبه وخصاله وشكله وجماله وأدبه، أي حد يؤسر مع النبي ﷺ يعني طبعيًا، الطباع تخطف إلى جهة محبته ﷺ، بس إحنا مش عايزين دي، إحنا عايزين المحبة اللي هي بقى أيه؟ "لو كان حبك صادقًا لأطعته" المحبة المستلزمة للطاعة، الدافعة للإنقياد الباطني والإنقياد الظاهر.

وفيه دليل على أن الأعمال بالخواتيم لأنه لو قالها في تلك الحال معتقدًا ما دلت عليه مطابقة من النفي والإثبات لنفعته، هي التي تنطبق على أيه؟ على النفي ةالإثبات، يعني لا إله إلا الله لها دلالة بتدل دلالة المطابقة على نفي الشريك عن الله، وبدلالة المطابقة على إثبات الوحدانية لله عز وجل، ما هي لا إله نفي الشرك، إلا الله إثبات الوحدانية، أدي معنى دلالة المطابقة في كلمة التوحيد يعني، وإن قالها بدلالة مطابقتها هي أصلًا بنفسها تدل على ذلك لنفعته، وكما قال النبي ﷺ في الحديث: (يخرج من النار يومًا من الدهر أصابه قبل ذلك ما أصابه)، ده مين؟ من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله، يبقى من قال لا إله إلا الله يخرج من النار يومًا من الدهرِ، أصابه قبل ذلك ما أصابه، مهما يعذب ومهما تطول مدة العذاب، دا إن عُذب، وبننبه مهم قوي، إن إحنا لما نيجي نقول إن صاحب الذنوب والكبائر في المشيئة، يعني في المشيئة إن هو قد يغفر له بغير توبة، ويدخل الجنة لأول وهلة، لأول وهلة يعني أيه؟ وخلاص كده من غير حساب ولا سابقة عذاب، بس هو متعرض للوعيد، الله! يبقى الفرق بين بقى إللي ما عملش خيرًا قط وأتى بكلمة التوحيد والإعتقاد الإجمالي وبين المتنافسين في الخيرات، لأ السابقين بالخيرات هما دول مطمنين، (أولائك لهم الأمن وهم مهتدون)، الأمن التام والإهتداء التام، ما بيقلاقوش أصلًا، (فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون) لا بيخافوا ولا ينخاف عليهم.

إنما صاحب الذنوب وصاحب الكبيرة من وافى بدون التوحيد الواجب، ولو بمثقل ذرة بحسنة وحدة بس يعني قلت سياح سنة عن سيئات بواحدة استحق الوعيد، يعني ممكن منبقاش عارفين هو بعينه فين؟ مش عارفين هو شخصيًا بعينه كيف يُختم له؟ يعني ربنا

هيقبله إزاي في عِداد المغفور له لأول وهلة ولا إن هو يعذب بقدر ذنوبه وبعدين يطلع ولا ببعض ذنوبه وبعدين يطلع؟ كل ده وارد عن أصحاب الكبائر، يبقى لما نقول في المشيئة يبقى متصور في رحمة الله عز وجل أن يُغفر له، ويدخل الجنة لأول وهله، تمام؟ مع التفاوت في الدرجات، لم يخش جوه، ولما يدخل الجنة بقى (وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون) على ما كان عليه من العمل، يبقى خلاص، هو هيخش الجنة لأول وهلة بس مش في الفردوس الأعلى يعني، نعم.

لكن ممكن تجيلوه شفاعات داخلية ورفع درجات داخلي، (والذين آمنوا وإتبعتهم ذريتهم بإيمانٍ ألحقنا بهم ذريتهم) ما هو الذرية تحت والآباء فوق، الآباء فوق بعظيم الأعمال، والأبناء تحت بإيه؟ بدنيء الأعمال، فَيُشَفِعُ رب العالمين الآباء والأبناء، فيرتفع وإليهم الأبناء، بس بشرط يكون أيه؟ (آمنوا وإتبعتهم ذريتهم بإيمان)، يعني دول ماتوا مؤمنين ودول ماتوا مؤمنين على التوحيد يعني.

قوله: فقالا له أترغب عن ملة عبد المطلب؟ ذكراه الحجة الملعونة التي يحتج بها المشركون على المرسلين، كقول فرعون لموسى: (فما بال القرون الأولى) ده مش سؤال عن الحضارات الماضية، طب أبويا وجدي وملك مصر الأول، والأسرة العشرين والأسرة الخامسة عشر، الناس الكبار دول هيروحو فين؟ لما أنت بتقول إن إحنا على باطل؟ أومال دول فين؟ أنت بتطعن في حضارة الآباء والأجداد؟ بالتلازم بقى، إنما الأصاله هو بيسأل عن مصيرهم، (فما بال القرون الأولى) يعني ما مصيرهم؟ إن كنت بتقول إن دين الفراعين باطل، واللي مش هيتبع الإله الواحد الذي في السماء ويعبده ولا يشرك به شيئاً في النار، يعني الناس دي في النار، عايز تقول الملك زوسر في النار؟ ما يروح في ستين داهية أيه المشكلة؟ لكن نبي الله موسى ﷺ ما إنجرش لهذه المسألة يعني قال أيه؟ قال: (علمها عند ربي في كتاب الله يضل ربي ولا ينسى) ما تجرنيش لصراع الحضارات، بعيد عني، أنا مش قصتي أنا قدامي إللي قدامي ده منكر قائم أهو وأنا ما لحقتش المنكر اللي فات، أنا مش مطالب بإني أنا أنكره بأثر رجعي، أنا بقول إللي قدامي ده باطل، لو إللي فات زي دا يبقى كله مع بعض.

فهنا بيقول أيه؟ فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ ذكراه الحجة الملعونة، يعني الإتنين الكفار ضغطوا على أبي طالب، وقالوا له يعني أنت حتقل بينا على آخر الزمن، وكل الناس يعني ده أنت السمعة الكبيرة، نيجي فجأة كده ونلاقيك أنت بقيت إنهزمت قصاد الضغوط وكده، قال: (فما بال القرون الأولى)، وكقوله تعالى: (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قريةٍ من نذيرٍ إلا قال مترفوها)، قالوا محتجين، على دعوة التوحيد، (إلا قال مترفوها إنَّا وجدنا آباءنا على أمة وانَّا على آثارهم مقتدون).

قوله: فأعاد عليه النبي ﷺ فأعادا فيه، معرفتهما بمعنى لا إله إلا الله، لأنهما عرفا أن أبا طالبٍ لو قالها لبرء، ما هم بيقولوا له أترغب؟ يعني أتبرأ؟ هتطوعه وتقولها وبعدين تتنكر لآلهتك رغم النبي ما قالوش تنكر للآله نصًا، قال له: (قل لا إله إلا الله) هم فاهمين يعني لا إله إلا الله، معناها التنكر لكل الآلهة الباطلة والرغبة عما كان يعبده الآباء والأجداد.

فهنا بيقول: لأنهما عرفا أن أبا طالب لو قالها لبرء من ملة عبدالمطلب، فإن ملة عبدالمطلب هي الشرك بالله في إلهيته، وأما الربوبية فقد أقروا بها كما تقدم، وبنأكد على أن إقرار المشركين بالربوبية إقرار إجمالي مش تفصيلي، إقرار المشركين بالربوبية، لأن أحيانا بيكثر على لسان الدعاة والشراح أن مشركي مكة كانوا يقرون بالروبية والخصومة كانت في الألوهية، لأ مش في كل معاني الربوبية، وإلا من معاني الربوبية إعتقاد إنفراد الله عز وجل بالشرع والحكم والأمر والنهي والسيادة والتشريع، وكان هم عندهم كُهان يتحكمون إليهم، تمام؟ ويعطونهم هذه الإستحقاقات، أبو شرايح صاحب النبي ﷺ كان يكنى أبا الحكم ليه؟ لأنه كان بيقولوا له: لك صلاحيات وإستحقاقات السن والتشريع والتحليل والتحريم، ودي معاني كفر الربوبية، الضر والنفع دي من معاني الربوبية، وكانوا يعتقدونها في كثير من الأوثان والأصنام والأشياء التي يتشائمون بها، ويتفائلون بذواتها من غير أثارةٍ من علم، يبقى إحنا لما نيجي نقول المشركين كانوا يعني يؤمنون أو كان عندهم نوع أو توحيد الربوبية، فده على سبيل الإجمال كده يعني في معاني الخلق والإيجاد ونحو ذلك، والرزق العام، وخلق السماء والأرض، إنما تفاصيل الربوبية لأ طبعاً كانوا بيكفروا بأشياء كثيرة في تفاصيل الربوبية.

بيقول هنا: وأما الربوبية فقد أقروا بها قلنا إجمالًا كما تقدم، وقد قال عبد المطلب لأبرهة: أنا رب الإبل والبيت له ربي يمنعه منك، دي تفصيلية معينه، إنما مش كل التفاصيل في تفاصيل ثانية هما عاندوا فيها وأشركوا.

وهذه المقالة منهما عند قول النبي ﷺ لعمه (قل لا إله إلا الله) إستكبارًا عن العمل بمدلولها، كما قال تعالى وهذه الكلمة من هما إستكبارًا، يعني هما بيقولوا: أترغب عن ملة عبد المطلب، وده نوع من الإستكبار، لإن هم عارفين إن ملة عبد المطلب ملة باطلة بالحجة التي أقيمت عليهم، تمام؟ وبالآيات التي أراهم النبي إياها، هم ما عندهمش عذر عند الله في مسألة إتباع النبي في التوحيد والإلتزام، كما قال تعالى عنهما وعن أمثالهما من أولئك المشركين (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون* ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعرٍ مجنون) وحاشاه ﷺ، فرد عليهم سبحانه بقوله: (بل جاء بالحق وصدق المرسلين)، ليس بمجنون، بل جاء بالحق، لم يأتي بباطل، المجنون لا يأتي بالحق، المجنون لا يصدق أحدًا من أهل الحق، المجنون ما ينحسبش أصلًا على أهل الإتباع وتصديق الخير، فكل الرد الهادي جداً المفحم جداً (بل جاء بالحق وصدق المرسلين).

فبين تعالى أن إستكبارهم عن قول لا إله إلا الله لدلالتها على عبادتهم الألهه التي كانوا يعبدونها من دون الله، فإن دلالة هذه الكلمة على نفي ذلك دلالة تضمنٍ، يبقى لا إله إلا الله بتدل على إيه؟ بتدل على نفي إستحقاق الآلهة الباطلة للعبادة بالتضمن، لكنها بتدل على نفي الشريك عن الله بالمطابقة، بتدل على إثبات الوحدانية لله بالمطابقة أيضًا، إنما بالتضمن في مسألة الأية؟ إنها تتضمن هذا المعنى يعني، اللي هي بطلان عبادة الآلهة الباطلة.

قال: ودلالتها عليه وعلى الإخلاص دلالة مطابقة، ودلالتها على نفي مع بعض ما إحنا قلنا دلالة المطابقة هي دلالة اللفظ أو الكلمة على مجموع أجزاء المعنى، دلالة المطابقة هي دلالة اللفظ أو الكلمة على مجموع أجزاء الكلمة أو أجزاء المعنى، ودلالة التضمن هي دلالة اللفظ أو الكلمة على بعض أجزاء المعنى، يبقى دلالة المطابقة دلالة كلية في المعنى، ودلالة التضمن دلاله جزئية، بس وخلاص الموضوع سهل وبسيط.

بيقول: ومن حكمة الرب تبارك وتعالى في عدم هداية أبي طالب إلى الإسلام ليبين لعباده أن ذلك إليه سبحانه مش إلى نبيه، يعني لا يملكها أحد غيره، ولا محاباة فيها، تمام؟ وهو القادر عليه دون من سواه سبحانه وتعالى، فلو كان عند النبي ﷺ الذي هو أفضل خلقه من هداية القلوب، وتفريج الكروب، ومغفرة الذنوب والنجاة من العذاب، ونحو ذلك شيء، لو كان له من ذلك شيء، لكان أحق الناس بذلك وأولهم به عمه الذي كان يحوطه ويحميه وينصره ويأويه صلوات الله عليهم، فسبحان من بهرة حكمته العقول وأرشد العباد إلى ما يدلهم على معرفته وتوحيده وإخلاص العمل له وتجريده سبحانه وتعالى، أو وتجريد العمل يعني.

قوله: فكان أخر ما قال، الأحسن فيه الرفع، ممكن تقول: فكان آخرَ ما قال، وكان آخرُ ما قال، بيقول الأحسن فيه الرفع لأنه إسم كان وجملة هو وما بعدها الخبر، فكان آخر ما قال: هو على ملة عبدالمطلب، تمام؟ أو فكان هو على ملة عبدالمطلب آخر ما قل، يبقى في تقديم وتأخير في المبتدأ والخبر يعني، لأن إحنا عارفين إن الخبر يتأخر عن المبتدأ عفواً، الخبر يتقدم عن المبتدأ أو العكس، وجوبًا وإستحبابًا وجوازًا أو وجوبًا وجوازًا، فعشان كده بيقول: الأفضل نخليها كده.

قال المصنف رحمه الله بيقول: وأبى أن يقول لا إله إلا الله، قال الحافظ يعني ابن حجر في الفتح: هذا تأكيد من الراوي في نفي وقوع ذلك من أبي طالب، يعني الراوي بيقول أنا فضلت في المشهد لحد أما مات وما قالش، وأبى أن يقول لا إله إلا الله.

قوله: هو على ملة عبدالمطلب الظاهر أن أبا طالب قال: أنا، لكن الراوي غيره إستقباحاً، كأن لاينسبه إلى نفسه، يعني عشان ما يبقاش في صورة القائل أنا على ملة عبدالمطلب، كأنه بينطق الكفر، في حين أن العلماء مجمعين على أن ناقل الكفر ليس بكافر، تمام؟ ما هو أنت عندك جمل في نقل الكفر في القرآن كثير، يعني جملة: (أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين) من اللي قال الجملة دي؟ فرعون، ومن إللي يقصد به المهين؟ موسى عليه السلام، ده كفر بَين، تمام؟ لكن القرآن صاغها في صياغة القائل عادي، ولذلك العلماء مجمعين على أن ناقل الكفر ليس بكافر، فناقل ما دون الكفر أولى وأولى، يعني دايمًا نكلم

الإخوة في مسألة الناقل دي والعلماء أجمعوا في المسائل دي، ليس على الناقل شيء إجماعًا، فمن نقل طلاقاً فليس بمطلق، ومن نقل رجعة فليس بمرتجع، ومن نقل إقرارًا فليس بمقر، ومن نقل كفرًا فليس بكافر، ومن نقل كذبًا فليس بكذاب، مش فاهمين المسألة دي، فبنقول إن مسألة النقل هو بيحكي مسألة، الناقل والحاكي شكل بعض، تمام؟ ودلالة الحال بيينة جداً جداً، إللي بيتكلم مش بتكلم عن شيء حصل أو بيتكلم عن نفسه، هو بيحكي عن غيره، ولذلك، في مناقشة بعض مشايخنا لمسألة جواز التمثيل، هو بيقول بس الممثل لما يجي يقول: قال فلان ده مش تمثيل، علشان الناس تفهم هم عايزين كأنهم بيحكو القصة، يعني أسلوب قال محمد، قالت زينب، قالت عائشة، فقال إبراهيم، قالت زينب، فقال محمد، قالت ودا مش أنت كده بتقرأ دا مكتوب حتى إن بعض الكُتَاب بدأ يستعيض عن هذه الجملة بعلامات المقول قل بس النقطتين اللي فوق بعض دي، عشان ما يقطعش فكر القارئ، يعني القارئ يعيش الحوار مع بعضه، هل جئت اليوم صباحًا؟ لا بل جئت مساءً، كيف ذلك؟ قد إدعى فلانًا هذا أتشهد يا فلان؟ نعم، وتلاقي إن الحوار ماشي مع بعضه، إنما تلاقي واحد قال فلان، قال فلان، قال الكلام ده ثقيل، فتخيل إن ده بيتقال بقى، وفي فيلم مثلًا، أو حاجة زي دي؟ قال أبو بكر: والله لو منعوني، فقال عمر، أومال إنتم بتعملوا أيه بقى لما قال أبو بكر وقال عمر أنتم جايبين ليه مزهقاقينا ليه؟ يبقى كل واحد يتكلم بكلام وخصوصًا حتى إن بعض مشايخنا حفظهم الله يقول في كلام الحق يقول على طول أما في كلام الباطل يقول: قال فلان، طب ما هو ربنا نقل كلام الكفار من غير قال فلان؛ قال فلان، دي الحوار بيجي وراء بعضه، يعني عود الضمائر ده لو أخذت مقطع قرآني على بعضيه بعيد عن (قال فرعون وما رب العالمين)، لحد تحت حتلاقي عود الضمائر ماشي الكلام مع بعضيه من غير قال فرعون قال فرعون، وإلا الطريقة دي موجودة في الإيه؟ في التوراة المترجمة، قال الرب لموسى، قال موسى للرب، في حد ثاني بيكتبه، يعني مش ده، مش هو ده كلام ربنا، في حد بيحكيه، فلما نيجي دلوقتي في مشهد تمثيلي مثلًا، وبعدين واحد يقول قال فلان، قال فلان، دي صعبة قوي، تمام؟ دلالة الحال اللي أنا أقصودة بقى إنهم بيحكوا وإن

دي قصة وإن دى تمثيل وإن دا فيلم، خلاص معروف إن ده مش حقي أن دا مش ده بيتكلم بالكلمة دي.

طيب يبقى هنا بيقول: هو على ملة عبدالمطلب، الراوي يعني إستقبح أن ينسب المقالة لنفسه، وهو من التصرفات الحسنة، قاله الحافظ رحمه الله، وأبا أن يقول لا إله إلا الله، قال الحافظ وهذا تأكيدٌ من الراوي في نفي وقوع ذلك من أبي طالب.

قال المصنف رحمه الله: وفيه الرد على من زعم إسلام أبي طالب، عفوًا إسلام عبد المطلب وأسلافه، ومضرة اصحاب السوء على الإنسان، ومضرة تعظيم الأسلاف، يعني في ثلاث فوائد ورا بعض، يبقى الرد على من زعم إسلام عبد المطلب، بالتالي إسلام أبي طالب إللي هما مين اللي قالوا كده؟ الشيعة بس الشيعة دون خلق الله إللي هم قالوا الكلام ده وبرضه الصوفية سيرًا أو نسجاًعلى منوال الشيعة، قالوا نفس الكلام إن أبوطالب مات مسلمًا، وإن أبو النبي كان مسلم، وأم النبي كانت مسلمة، وجده طبعاً بالأصالة كان مسلماً وإسناده مسلسل بالمسلمين إلى إبراهيم عليه السلام، ما حدش كفر، أيوة يقولك إزاي؟ أنت عايز تقول إن النبي أباءه كفار؟ هو أنا بشتمه، ده النبي هو اللي كفرهم وأنا مش أنا اللي كفرتهم.

لما كانت بتحصل مناظرات مع بعض مساكين أهل السنة مع بعض الشيعة إللي هما الحلنجية بيقول له: إنتوا بتكفروا الصحابة، السني يقول للشيعي: أنتم بتكفروا الصحابة؟ قاله لأ، إحنا بنقول اللي بيقول الصحابة كافر هو كافر، دا كانت على التليفزيون دي، فبهت السني الغلبان، ما عرفش يرد، بيقول له: أنا بأقول لك على التليفزيون قدام الناس كلها إللي بيقول الصحابة كفار كافر، عايز كده حاجة ثانية؟ عندك رد؟ لا، السؤال بسيط جداً، الصحابة إللي هم مين بقا؟ بس، الصحابة إللي هم مين بقى؟ تمام؟ فهو واحد ثاني نفس النموذج برضه في مشهد ثاني، بيقول له أنت ليه بتكفر أبو بكر؟ قال له ما تكفرش أبوطالب وأنا ما أكفرلكش أبو بكر، واحدة قصاد واحدة يعني، يبقى مسألة كلها تحرير من هو الصحابي بس وخلاص، يعني نحرر من هو الصحابي؟ وبعدين نقول بقى عقيدتنا في الصحابة إللي هو في التعريف ده، إنما أنت نطيت بالبراشوت على المسألة، يعني الصحابي

ده لا ده قال تعريفه ولا ده قال تعريفه، فده عمال يقول: كافر ودا عمال يقول مسلم بتكفروا الصحابة لا ما بكفرهمش، إحنا بنكفر الكفار، واخد بالك إزاي؟

بيقول هنا بقا: أي إذا زاد على المشروع بحيث تجعل أقوالهم حجة يُرجع إليها عند التنازع، ده في أيه؟ في جملة تعظيم الأسلاف ومضرة وتعظيم الأسلاف، يعني متى يبقى تعظيم الأسلاف مضرة؟ هو أولاً الأسلاف بالإطلاق كده فيهم الحلو والوحش، عشان كده إحنا بنقول نحن ننتسب ديانةً وتعبدًا إلى السلف الصالح، مش السلف بس، لأن ربنا قال في الفراعين (فجعلناهم سلفًا ومثلًا للآخرين) صح ولا إيه؟ وكل من سلفك من آبائك يعني كل من تقدمك من آبائك فهم أسلفك، ففيهم خير وفيهم شر، فيهم صالحين وفيهم طالحين، يبقى أنا لما نيجي ننتسب إلى السلف تدينا يبقى للسلف الصالح مش للسلف وخلاص مبدئيًا.

الحاجة الثانية إن إحنا بنقول السلف الصالح لما نيجي نعظمهم لازم نعظمهم في حد معين، لا نجعل أقوالهم حجة في وجاهة سنة النبي ﷺ ودلائل الشرع الأخرى التي أقوى من قول الصحابي، ويبقى قول الصحابي حجه بشرطه، ما يبقاش إن أنا بحب السلف يبقى أي حاجة مضاد إللي أنا أعرفه عن السلف، يبقى غلط لأ ممكن يبقى السلف اللي هو المفرد الشخص وإن كان أبا بكرٍ وإن كان عمر يكون مخطئًا في مقابل السنة، مخطئا في مقابل القرآن صح ولا ايه؟

يبقى هنا بيقول: وفيه مضرة تعظيم الأسلاف، قال متى يبقى فيها مضرة؟ إذا زاد على الشرع أو زاد على المشروع في تعظيمهم، ما هو ربنا شرع لنا تعظيمهم، فأنا إذا تجاوزت الحد وغاليت فيهم، المغالاة مرفوضة حتى في شخص النبي ﷺ حيث قال: (لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم).

يبقى فيه مضرة تعظيم الأسلاف، أي إذا زاد على المشروع، إذا زاد المسلم المعظم للأسلاف على القدر المشروع في تعظيمهم يبقى دا فيه مضره، إيه الصورة؟ بحيث تجعل أقوالهم حجة يُرجع إليها عند التنازع.

قوله: فقال النبي ﷺ: (لأستغفرن لك ما لم أُنهى عنك)، يبقى قبل ما نسيب النقطة بتاعت أيه؟ تعظيم الأسلاف دي يبقى في تعظيم مشروع وتعظيم ممنوع، في تعظيم الأسلاف تعظيم مشروع أذِن الله عز وجل به ورسوله، بلا أوجبه سبحانه وتعالى في مواضعه بشروطه، وفي تعظيم مستحب وفي برضه مواضع وبشروط، وفي تعظيم ممنوع إللي هو الغلو ومصادمة أقوال الشرع بالنصوص قرآناً وسنة، بأقوال هؤلاء أحادًا، إنما إذا أجمعوا على مسألة وأنا أرى إن أجمعهم مخالف لظاهر النص، لأ إجماعهم هو اللي حُجة أنا إللي فاهم ظاهر النص غلط، واضح الأمر؟ لأن الإجماع لا يخالف نصًا أبدًا، ولا يُتصور حصوله أصلًا، تمام؟ لأن مخالفة النص الظاهر الذي لا يحتمل تأويلًا دا باطل، والأمة لا تجتمع على باطل، فدا لا ينعقد إبتداءً، واضح الأمر؟ لكن إذا كان بقى السلف نفسهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاه في مسألة إختلفوا على قولين وثلاثة وأكثر أو أقل يبقى خلاص نمايز ونفاضل ونرجح بين هذه الأقوال بأقربها للدليل وأوفقها للأدلة الشرعية.

فقال النبي ﷺ: (لأستغفرن لك ما لم أُنهى عنك)، قال النووي: فيه جواز الحلف من غير إستحلاف، فين الحلف؟ لإن كلمة لأستغفرن معناها والله لأستغفرن، وكان الحَلِف هنا لتأكيد العزم على الإستغفار، تطييبًا لنفس أبي طالب، وكانت وفاة أبي طالب بمكة قبل الهجرة بقليل، قال ابن فارس: مات أبو طالبٍ ولرسول الله ﷺ ٤٩ سنة وثمانية أشهر و١١ يومًا، وتوفيت خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها وأرضاها بعد موت أبي طالب بثمانية أيام.

قوله: (ما كان للنبي والذين آمنوا معه أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى)، أي ما ينبغي لهم ذلك، ما كان للنبي ما ينبغي لهم ذلك، وهو خبر بمعنى النهي، ما هي ما دي نافية، وما النافية تدخل على الأخبار ولا على الإنشاءات؟ على الأخبار، تنفي الخبر، تنفي حصوله، لكن مقصودها الأيه؟ النهي، نقول: هذا خبر وغرضه الإنشاء، ومعنى الإنشاء هنا النهي، والظاهر أن هذه الآية نزلت في أبي طالب، فإن الإتيان بالفاء المفيدة للترتيب في قوله فأنزل الله بعد قوله لأستغفرن لك، يفيد ذلك، تمام؟ وهنا برضه من دقيق كلام العلامة الشارح عبد الرحمن بن حسن آل شيخ بيقول: والظاهر أن الآية نزلت، ما قالش ونقطع أو

ويجزم أو والنص في ذلك كذلك، لأ قال: الظاهر، لإن إحنا بنقول أسباب النزول منها ما هو نص ومنها ما هو ظاهر ومن هو أقل من ذلك، لما يجي الصحابي يقول: سبب نزول الآية الفلانية كذا وكذا، قول الله كذا كذا الحدث الفلاني، هذا نصٌ في سبب النزول لإن هو صرح بكونها سببًا، الحادثة يعني، ولما يقول حصل كذا فنزلت، يبقى هذا نقول ظاهرٌ في أنها سبب من أسباب النزول، تمام؟ ولما يقول: ثم قرأ ﷺ، أو إقرأوا إن شئتم، لا دي بعيدة جداً عن مسألة سبب النزول، يقصد إن إيه؟ تدخل في المعنى، ولما يقول: وفي ذلك قال الله عز وجل أو وفي ذلك أنزل الله برضه ظاهر مش نص، وفي ذلك يعني في هذا المعنى، أنزل الله ما هي أضعف من فأنزل الله، يبقى عندك كده سبب النزول، فأنزل الله، تمام؟ إقرأوا إن شئتم ونحو ذلك؟

وفي ذلك نعم، وقد ذكر العلماء لنزول هذه الآيه أسباب أُخر وإحنا عارفين إن هو بيتعدد سبب النزول زي ما بيقول هنا فلا منافاة، لأن أسباب النزول قد تتعدد، يعني يبقى الآية واحدة ويتعدد لها أكثر من سبب، فتنزل أكثر من مرة على النبي ﷺ زي ما حصل إن الفاتحة أصلًا نزلت على النبي ﷺ إبتداءً، تمام؟ وإحنا عارفين إن الآيات قسمين: إبتدائية سببية، آيات كثيرة جداً، أكثر آيات القرآن نزلت إبتداءً من غير أسباب تمننًا وتفضلًا، خواتيم البقرة نزلت أكثر من مرة على النبي ﷺ، يعني نزل بها جبريل مرة ونزل بها ملك ثاني على النبي ﷺ برسالة خاصة، جبريل قعد مع النبي في يوم من الأيام، فسمع نقيضًا في السقف، سقف البيت، كأن حاجة بتفتح السقف، فنظر جبريل إلى السماء فقال: أبشر يا محمد، هذا بابا من السماء فُتح لم يفتح قبل اليوم، نزل منه ملكٌ لم ينزل إلى الأرض قبل اليوم يقرئك من ربك السلام ويقرأ عليك الآيات اللي هي (آمن الرسول) وخواتيم البقرة.

فهنا بيقول: لأن أسباب النزول قد تتعدد، وبرضه من الأمثلة دي إللي هي المعوذتين نزلت على رسول الله ﷺ في مكة، لأن المعوذتين مكيتين بالإجماع (قل أعوذ برب الفلق)، و(قل أعوذ برب الناس)، ونزلتا على رسول الله ﷺ عندما سحره لبيد بن الأعصم اليهودي، فنزل بها جبريل وميكائيل رقيةً للنبي ﷺ.

نقول: قال الحافظ: أما نزول الآيات الثانية فواضح في قصة أبي طالب، وأما نزول الآيات التي قبلها ففيه نظر، ويظهر أن المراد أن الآية المتعلقة بالإستغفار نزلت بعد أبي طالب بمدة، وهي عامة في حقه وحق غيره، ويوضح ذلك ما يأتي في التفسير، في التفسير أيه؟ هو مين اللي بيتكلم؟ والتفسير إللي بيتكلم عنه الحافظ تفسير أيه؟ كتاب التفسير من صحيح البخاري، بيقول: أنا هتكلم عليها ثاني في شرح كتاب التفسير من صحيح البخاري، تمام؟ فأنزل الله بعد ذلك (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين.. الآية)، ونزل في أبي طالبٍ (إنك لا تهدي من أحببت)، كله ظاهر في أنه مات على غير الإسلام ويضعف ما ذكره السهيلي أنه روي، أو روى في بعض كتب المسعودي أنه أسلم.

لأن مثل ذلك لا يعارض ما في الصحيح، يعني حتى لو فرضنا أن هذا النقل موجود وهو موجود في تاريخ المسعودي ونحو هذه الأشياء، وطبعاً كتب التواريخ لا تقاوم أسانيدها ولا مروياتها ما في كتب الصحاح والسنن ونحوها.

هو إحنا طبعاً قاعدة المؤرخين والمترجمين في رواية الأخبار غير قاعدة المحدثين تمامًا، دول لهم قانون في قبول الروايات والأخبار ودول لهم قانون في قبول الروايات والأخبار، وطبعاً أشد وأدق أساليب نقل الأخبار ورواتها عند المحدثين، تمام؟ لأن ده أصلًا دول يعني ناس بتصون الشريعة، فإحنا بعضنا ممكن هيقول أيه؟ ما هو الإمام فلان كالإمام أحمد مثلًا يقول: كنا إذا روينا في الحلال والحرام شددنا، فإذا روينا في الفضائل والأيه؟ والسير والأخبار والتواريخ يعني خففنا أو تجاوزنا، يقول لك: أيوا ما يبقاش في تعارض.

يعني هو دلوقتي لإن هو عايز يسد ثغرة تاريخية، فهيجي كل ما وقف عليه عشان يكمل المشهد هو بينقل لي حدث معين، الحدث ده هاجي أبني عليه أحكام، أرجع لقاعدة المحدثين تاني بقى، أو ممكن أقبل الكلام من كلام المؤرخين، لو لم يكن في الباب غيره ولا يصادم ماهو أثبت منه فيمشي، وغالبا يعني ربنا لم يعوزنا إلى ذلك، يعني ما بيحصلش يعني إنه تبقى مسألة في الدين مستندها حكاية في التاريخ لأ ما فيش الله بفضل الله سبحانه وتعالى.

يقول: وفيه تحريم الإستغفار للمشركين وموالاتهم يعني تحريم موالاتهم أيضًا.

تحريم الإستغفار للمشركين ومولتهم يعني تحريم موالتهم ومحبتهم، لأنـه إذا حَرُم الإستغفار لهم فموالاتهم ومحبتهم أولى.

ينتقل بعد ذلك إلى باب ما جاء في سب، أو في أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين.

ودا نأجله إن شاء الله للحلقة القادمة.

أكتفي بهذا القدر،،

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى إله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً